أعيان القرن الرابع عشر

للعـــلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

مقدمة بقلم الأستاذ احمد أمين

أهبت فى مقال سابق بالرسالة ، الى الشيوخ والشبان أن يجدوا فى تقييد ما عرف من العصر السابق لعصرنا من ترجمة لرجاله ، وتدوين لأحداثه ، وأشرت الى أن كثيرين من عظماء شيوخنا أمثال أستاذنا أحمد لطفى السيد بك ، والأستاذ ابراهيم الهلباوى بك ، والسيد محمد البيلاوى ، وسعادة احمد زكى باشا ، وفضيلة الشيخ محمد بخيت ، والأستاذ الشيخ عبـــد الوهاب النجار ، والصحفى العجوز وأمثالهم ، قد شاهدوا من عظماء الناس فى مصر ، ووقعت لهم من الحوادث ، ومر أمامهم من المناظر ما لو دون لكان ثروة لا تقدر ، ولكان حلقة اتصال بين ما دونه المؤرخون قبلنا كالجبرتى ، وبما يراه جيلنا . وقلت إن فى نفوسهم كثيراً من المعلومات تضيء السبيل للجيل الناشىء ، وان من الخسارة العظمى أن نسكت عن تدوينها ، وألا نسرع فى تقييدها ، فعلى هؤلاء السادة أن يدونوا فى ذلك مذكراتهم ، وعلى الشبان أن يلحوا فى رجائهم ، وأن يستملوهم ما فى ذكرياتهم ، ضنا بتاريخ أمتهم ، وحرصاً على فائدة الجيل المقبل

وقد سرنا أن يقوم صاحب السعادة احمد شفيق باشا بنشر مذكراته ، وفيها كثير من المعلومات القيمة التى تلقى نوراً على تاريخ الجيل الماضى ؛ وحبذا لو نحا نحوه بقية رجالاتنا ، فيكملوا النواحى الأخرى الاجتماعية التى لم يتصل بها شفيق باشا ، فكل عظيم من هؤلاء العظماء كانت له نواح اجتماعية خاصة هو بها أكثر علماً وأوسع معرفة .

ويظهر أن هذه الفكرة نفسها كانت عند المرحوم احمد تيمور باشا ، فقد بدأ بترجمة رجال القرن الرابع عشر ، ولكن مع الأسف الشديد لم يتمه ، وقد طلبت من صديقى الاستاذ محمود تيمور أن يتفضل فيسمح لى بالاطلاع على مادونه فى ذلك المرحوم والده ، فقبل رجائى وأعارنى الجزء الخاص بذلك — فاذا هو مجلد قد دون فيه بخط المؤلف اثنتان وسبعون صفحة ، وقد ترجم فيها لأربعـــة وعشرين رجلاً من أعيان القرن الرابع عشر الهجرى باعتبار الوفاة ، وان كان أكثر حياتهم فى القرن الثالث عشر

وأكثر من ترجم لهم المؤلف من الأدباء كعبـد الله نديم والشيخ شهاب ، والشيخ على الليثى ، أو من العلماء كالشيخ الأشمونى والشيخ المهدى العباسى ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ أبى خطوة ، والشيخ حسونة ، لأن المؤلف رحمه الله كانت حياته حياة علم وأدب ، فمن يتصل بهم حياته ، وقد ترجم أحيانا لرجال السياسة كسلطان باشا ، والغازى احمد مختار باشا

وقد أفاض المؤلف فى بعض التراجم فخرجت كاملة مستوفاة كترجمة عبد الله نديم وسلطان باشا ، وبعضها قاصرة كترجمة الغازى مختار باشا ، وكل التراجم — مع ذلك — ذخيرة أدبية وتاريخية هامة ، وفيها من المعلومات مالا نجده فى سواها ، ومن من المؤلف أعلم برجال هذا العصر وشيوخه ؟

من أجل هذا اقترحت على صديقى الاستاذ الزيات أن تنشر هذه التراجم تباعاً فى الرسـالة حتى ينتفع بها جمهور القراء — ولا يفوتنى أن أنبه أن أربعا من هذه التراجم الاربع والعشرين قد نشرت فى مجلة الهلال الغراء ، ولكنى لا أرى بأساً من اعادة نشرها حتى تكون المجموعة عند قراء الرسالة كاملة .

احمد أمين

* * *

عبد الله نديم افندى

هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم ، الأديب الألمعى ، والخطيب المفوه ، نادرة عصره ، وأعجوبة دهره . ولد أبوه ببلدة الطيبة بمديرية الشرقية فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤ هـ ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية ، فكان فى مبتدأ أمره نجاراً للسفن بدار الصناعة ، ثم اتخذ له مخبزاً لصنع الخبز ، ومات بالقاهرة فى ٤ رجب سنة ١٣١٠ .

وولد المترجم بالثغر المذكور فى عاشر ذى الحجة سنة ١٢٦١ ونشأ فى قلة من العيش ، ومالت نفسه الى الأدب ، فاشتغل به واسترشد من أهله وطالع كتبه ، وحضر دروس الشيوخ بمسجد الشيخ ابراهيم باشا . وكان قليل الاعتناء بالطلب ، غير مواظب على الدرس ،

إلا أن الله وهبه ملكة عجيبة وذكاء مفرطاً ، فبرع فى الفنون الأدبية ، وكتب وترسل ، ونظم الشعر والزجل ، وطارح الاخوان وناظر الأقران . ثم بدا له أن يتعلم صناعة للكسب ، فتعلم فن الاشارات البرقية ، واستخدم فى مكتب البرق بينها العمل ، ثم نقل الى مكتب القصر العالى ، سكن والدة الخديو أيام ولاية ابنها اسماعيل باشا ، وبقى به مدة عرف فيها كثيراً من أدباء القاهرة وشعرائها ، مثل الأمير محمود سامى باشا البارودى ، ومحمود افندى صفوت الساعاتى ، والشيخ احمد وهبى . ثم غضب عليه خليل أغا ، أغا القصر ، وكان فى سطوة لم يبلغها كافور الأخشيدى ، فأمر بضربه وفصله . فضاقت به الحيل ورقت حاله ، حتى توصل الى الشيخ أبى سعدة عمدة بداوى بمديرية الدقهلية ، وأقام عنده يقرئ أولاده ، ثم تشاحنا وافترقا على بغضاء . واتصل بالسيد محمود الفرقاوى ، أحد أعيان التجار بالمنصورة فأحسن منزله ، وفتح له حانوتاً لبيع المناديل وما أشبهها . فكانت نهاية أمره أن بدد المكسب ورأس المال ، وجعل يجوب البلاد وافداً على أكابرها ، فيكرمون وفادته ويهشون لمقدمه ، لما رزقه من طلاقة اللسان ، وخفة الروح ، وسرعة الخاطر فى النظم والنثر ، فيطوف ما يطوف ثم يأوى إلى دار الفرقاوى بالمنصورة ، الى أن ورد طنتا سنة ١٢٩٣ ، واتصل بشاهين باشا كنج مفتش الوجه البحرى إذ ذاك ، ولاتصاله به سبب لا بأس من ذكره : وهو ان الباشا المذكور كان بينه وبين الشيخ محمد الجندى أحد العلماء بالمسجد الأحمدى صحبة وتزاور ، وكان الشيخ يحب الغناء ويطرب له ، ولذلك كان يستحضر فى حلاقاً حسن الصوت ليغنى له فى داره ، فأمره مرة أن يغنى بحضرة الباشا ، فغنى بقول المترجم :

سلوه عن الأرواح فغنى ملاعبه ... وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت أراقم شعره ... وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الأشباح بالله عنده ... فلو أتلف الأرواح من ذا يطالبه
أراه بعينى والدموع تكاتبه ... ويحجب عنى والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدنى الحبيب لصبه ... سوى زفرة تثنى الحشا وتجاذبه
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه ... ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه
ولو أن طرفى أرسل الدمع مرة ... سفيراً لقلبى ما توالت كتائبه

وكان كثيراً مايتغنى بها ، فطرب الباشا طرباً شديداً ، واستظرف تلك الأبيات وتمنى رؤيته ، فأرسلوا له بالحضور . فلما حضر الى طنتا ، وواجهه استقبح صورته ، إلا أنه أعجبه ظرفه وأدبه ومال اليه ، فاتخذه نديماً لا يمل ، ورفيقاً حيث حل . فلما استقرت به النوى وملأ يده من الباشا ، استعداه على أبى سعدة الذى كان يقرئ أطفاله ، وادعى انه أخر له ثلاثين ديناراً من أجرة التعليم ، فأمر الباشا باشخاصه الى طنتا ، وألزمه أن يدفع للمترجم مائة جنيه ، فدفعها عن يد وهو صاغر . وكان مجلس شاهين باشا محط رحال الأدباء ومنتجع الشعراء والندماء ، لايخلو من مطارحات أدبية ومساجلات شعرية ، وللمترجم بينهم المقام الأعلى والقدح المعلى . وحسبك ماوقع له مع طائفة (الأدباتية) وهم مشهورون بالقطر المصرى يستجدون الناس فى الطرق بانشاد الأزجال والضرب على الطبل ، وأغلب أزجالهم مرتجلة فى مقتضى الحال . فكان للمترجم معهم يوم مشهود ذكره فى مجلة الأستاذ

ثم اتصل المترجم بالبيك التونجى فجعله وكيلا على ضياعه ، وما زال حتى لحق بالاسكندرية مسقط رأسه ومنبت غرسه ، وكان منه ما سنقصه عليك

تلك خلاصة ترجمته فى أول أمره ومبتدا خبره ، وكان القطر المصرى فى تلك الأثناء فى اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال وفساد الحكام واعتلاء الافرنج على الأهلين ، وقد سئم الناس حكم اسماعيل باشا وتمنوا زوال دولته ، فلما وفد المترجم على الثغر رأى لفيفاً من الشبان ألفوا جمعية سموها « بمصر الفتاة » يتآمرون فيها سراً خوفاً من بطش الخديو ، فعرف منهم البعض ، واشتغل بالكتابة فى صحف الأخبار ، فأعجب الكتاب بمقالاته ، واقتدوا به فى تحسين الانشاء ، وكان سقيما منحطاً فى ذلك العهد . ثم سعى مع جمع من الأدباء فألفوا جمعية سموها « بالجمعية الخيرية الاسلامية » سنة ١٢٩٦ آخرسنى اسماعيل باشا فى الحكم وجعلوه مدير مدرستها . ثم عزل الخديو وتولى ابنه توفيق باشا ، ففرح الناس وظنوا انفراج الأزمة . وجد المترجم واجتهد فى انجاح مسعاه فى الجمعية حتى حمل الخديو على زيارة مدرستها ، فزارها يوم امتحان تلاميذها ، وجعلها فى حماية ولى عهده عباس بيك ، وأنعم لهم بالمدرسة البحرية يدرسون بها ، وأجروا عليها من الحكومة مائتين وخمسين ديناراً فى السنة مساعدة . وطفق المترجم يؤلف القلوب ويحض الأهلين على الالتئام بالمقالات والخطب ينفثها قلمه ولسانه ، وألف قصة تمثيلية سماها « الوطن

وطالع التوفيق » وأخرى سماها « العرب » شرح فيهما ما كانت عليه حالة القطر وما طرأ عليه ، ثم مثلها هو وتلاميذه بأحد ملاعب الثغر بحضور الخديو ، فكان لها تأثير كبير فى النفوس ، واشتهر الترجم وعلا كعبه ، ولهج الناس بذكره ، ثم طرأ فساد على الجمعية سببه اليه فانفصل منها ، وكان شرع فى إنشاء صحيفة سماها « التنكيت والتبكيت » مزج فيها الهزل بالجد ، ظهر أول عدد منها فى ٨ رجب سنة ١٢٩٨ ، وظهر فى أثناء ذلك وميض الثورة العرابية من خلل الرماد ، فوافقت هوى فى نفس الترجم لميله الى الشهرة وبعد الصيت ، فضموه اليهم وشدوا أزرهم به ، فملأ صحيفته بمحامدهم ، ودعا الى القيام بناصرهم ، وخطب الخطب المهيجة ونظم القصائد الحماسية ، وندب الوطن ورثاه ، وحض على الاجتماع والتكاتف ونبذ أضاليل الافرنج ، فأثرت قالته فى النفوس وأشربتها القلوب ، وادعى الشرف وانتسب الى الامام الحسن السبط رضى الله عنه ، والله أعلم بتلك النسبة ، فقد رأيت كثيرين ممن عرفوه ينكرونها ، ثم أوقف صحيفته بعد أن ظهر منها ثمانية عشر عدداً آخرها تاريخه ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ وكانت أسبوعية تظهر يوم الأحد . وانتقل الى القاهرة وهى جذوة من نار ، وغير اسم صحيفته بأمر عرابى باشا كبير الثوار فسماها « الطائف » تيمناً باسم بلدة بالحجاز مشهورة ، وتفاؤلاً بأنها تطوف المسكونة كما تجابها جوائب احمد فارس . واسترسل الترجم مع رجال الثورة حتى صار جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، ولقبوه بخطيب الحزب الوطنى . وقام سراة القطر وأعيانه يعقدون المجتمعات ويولمون الولائم للعرابيين ويدعون الترجم للخطابة ، فكانت له بها المواقف المشهودة ، والأيام المعدودة ، حتى استفحل الأمر وقامت الحرب بالاسكندرية بين الانكليز والمصريين يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ١٢٩٩ . فسافر الترجم اليها مع جماعة من رؤساء الجند وبات بها ليلة ، ثم لحق بعرابى باشا وقد انهزم الى كفر الدوار ، ثم انتقل معه الى التل الكبير وهو ينشئ صحيفة الطائف بالمعسكر فيضمنها أخبار الانتصار ويحشوها بالأكاذيب تهدئة للأفكار ، حتى وقعت الهزيمة الكبرى على المصريين بالتل الكبير ، ففر عرابى باشا وعلى باشا الروبى ومعهما الترجم الى القاهرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال من السنة المذكورة ، واتفقوا على ارساله الى الاسكندرية بكتاب يطلبون به العفو من الخديو فسافر به يوم الخميس ، ولما وصل الى كفر الدوار بلغه القبض على زعماء الثورة ودخول الانكليز القاهرة . فعاد اليها ليلا وبقى فى داره بجهة العشماوى الى الصباح ، وخرج مع والده وخادمه فركبوا عجلة وقصدوا بولاق ، ورآه شاهين افندى فؤاد المفتش بالصرف العقارى ، وهو من مماليك عباس باشا والى مصر فظنه غير مطلوب ، قال ولولا ذلك لقبضت عليه . فلما وصلوا الى بولاق ودعه أبوه واختفى هو وخادمه ولم يظهر لهما أثر ، فأقام مختفياً نحو تسعة أعوام لا يهتدى الى مكانه ، وقد أعيى الحكومة المصرية أمره حتى جعلوا ألف دينار لمن يرشد اليه ، وبثوا عليه العيون فلم يظفروا منه بطائل ، فلما أعيتهم الحيل حكموا عليه بالنفى مدة حياته من القطر المصرى ، ويئس أصحابه من وجوده ، وأشيع القبض عليه وخنقه سراً ، ومنهم من أشاع موته حتف أنفه ، ومنهم من أشاع هربه الى بلاد الافرنج ، فمد اختفاؤه من الأمور الغريبة ، ولا غرو فأمره غريب من أوله .

القبض عليه

وكان يتردد على بلدة الجيزة (مركز السنطة) رجل يقال له حسن الفرارجى كان منتظماً فى العسكر ، ثم استخدم جاسوساً سرياً ، فأبصر رجلاً أنكر حاله لما رآه عليه من سيما الاختفاء ، ورجح انه عبد الله نديم ، فكتب الى الديوان الخديوى ينبئهم بوجود رجل من العرابيين مختف بالجيزة ، وأسرع الى ديوان الداخلية فأوضح لهم أمره فأعطوه ورقة بحليته ، فلما تحقق منه أخبرهم به ، فأمروا بالقبض عليه ، وحضر من المديرية محمد افندى فريد وكيل (الحكمدار) ومعه نفر من الشرطة ستروا ملابسهم بثياب أخرى ، فأحاط بعضهم بالبلدة متفرقين ، وصعد وكيل الحكمدار مع الآخرين على تل مشرف على أفنية الدور ، وأحس الترجم بتلك الحركة ، فأوجس فى نفسه خيفة ، وأراد الانتقال الى دار أخرى فأخذ عيبته على كتفه وصعد على سطح المكان فأبصره الذين على التل ، فصاحوا وصوبوا بنادقهم عليه ، وأمروه بالنزول فنزل ، ثم أحاطوا بالدار ، وطرقوا الباب طرقاً عنيفاً وأيقن الترجم انه مأخوذ لا محالة ، ففتحه لهم ، وواجههم متجلداً ، فسأله محمد افندى فريد عن اسمه فقال له : سبحان الله أتجهل اسمى وأنت مأمور بالقبض على ، أنا عبد الله نديم ذو الذنب العظيم ، وعفو مولاى الخديو أعظم ، سلمت أمرى لله ، فقبضوه هو وخادمه وأعماهم الله عن كتبه وأوراقه ، ولولا ذلك لأصابه شر عظيم بسبب أهاجيه

القبيحة فى الخديو وأسرته ، وكان القبض عليه فى ٢٩ صفر سنة ١٣٠٩ ، ولم ينل الواشى به شيئاً من الجعل لفوات الأجل المضروب للمكافأة ، ثم استاقوها الى المركز ، وسألوه عمن اختفى عندهم ، فلم يقر بأحد ، وسألوا خادمه وضربوه ، فأقر بالبعض ونقلوها الى المديرية بطندتا ، فسجنا بعض أيام ، ووكيل النيابة بالمحاكم يوالى سؤالها ، وانتهى الأمر بعفو الخديو عنه وعمن آواه ونفيه خارج القطر .

نفيه

فاختار يافا ثغر القدس الشريف ووصلها فى غروب يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول ، ونزل عند السيد على افندى أبى المواهب مفتيها ، ولما دخل داره وعرفه بنفسه قام واعتنقه وضحك وبكى . فأقام عنده شهراً ، ثم اتخذ له داراً وعرفه أعيانها وفضلاؤها ، وأكرموه وواسوه جزاهم الله خيراً . ثم رحل رحلته الى نابلس وسبطية وقلقيلا وغيرها من البلاد الفلسطينية . واجتمع بطائفة السامرة واطلع على كتبهم ومعتقداتهم كما رأيته بخطه فى كتاب أرسله لأحد أصدقائه فى مستهل رمضان . ولم يزل مقيما بيافا حتى مات الخديو وتولى ولده عباس باشا فى جمادى الثانية ، فعفا عنه وأباح له العود الى مصر . قال فى آخر ذلك الكتاب « عزمنا على الحضور بعد العيد ان شاء الله تعالى ، فان موسم سيدنا موسى الكليم يعمل فى نصف شوال ، ولا أحضر حتى أزوره مرة ثانية فانه صاحب الأمر بالعفو عنى ، وان كان الظاهر خلافه ، وذلك انى عند دخولى حضرته الشريفة أنشدته فى الحال :

رجوتك يا كليم الله حاجا أرجيها وقد حققت فضلك
فقل لى مثلما لك قيل أوحى اله الخلق قد أوتيت سؤلك

فرأيته ليلا يقول لى (قم روح) ثلاثاً ، وكانت ليلة ٣ رجب وهو تاريخ صدور الأمر » . انتهى ما نقلته من خطه .

عودته الى القاهرة

ولما عاد الى مصر استوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة الأستاذ فى شهر صفر سنة ١٣١٠ ، فبرزت موشحة ببديع مقالاته وغرر أزجاله وموشحاته . وبدت الوحشة فى أثناء ذلك بين الخديو والانكليز ، وكان ما كان من عزله صنيعتهم مصطفى فهمى باشا كبير الوزراء ومعاكستهم فيما يريدون . فقام المترجم ينتهض الهمم ويحض على موازرة الخديو ونبذ طاعة سواه ، وكتب فى ذلك المقالات الطويلة بالأستاذ حتى أحفظ الانكليز وخشوا من اتساع الخرق لمكانته السابقة من النفوس ، وسعى حساده بما سمعوا ولفقوا ما لفقوا ، فأوقفوا مجلته فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأعادوه الى يافا منفياً بعد أن أعطوه أربعمائة دينار ، وأجروا عليه خمسة وعشرين كل شهر ، واشترطوا أن لا يكتب بشأن مصر كلمة ، ولم ينفعه الخديو لقصر يده .

نفيه الى يافا

فلما استقر المترجم بيافا لم يسلم من السعاية به لدى السلطان ، فأمر بابعاده فعاد الى الاسكندرية متحيراً ، ولقد لفظته البلاد لفظ النواة ، فسعى له الغازى احمد مختار باشا وساعده حتى قبله السلطان المعظم عبد الحميد بدار السلطنة ، واستخدمه فى ديوان المعارف ووظف له خمسة وأربعين ديناراً مجيدياً فى الشهر ، فأمضى بها بقية أيامه شريداً عن وطنه بعيداً عن أهله وخلانه حتى اشتدت عليه علة السل ، فلقى حمامه فى الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤

وفاته

ودفن بمقبرة يحيى افندى فى بشكطاش ، وضاعت مؤلفاته ودواوينه ولم يظهر منها إلا جزء من « كان ويكون » كان يطبعه ذيلاً للأستاذ ، وكتاب آخر نسبوه اليه اسمه « المسامير » محشو بالهجو القبيح فى الشيخ أبى الهدى الصيادى نزيل دار السلطنة ، فمضى وكأنه لم يكن رحمه الله رحمة واسعة . ومن تأمل بعين الاتعاظ فى تقلب الأحوال بالمترجم ، وما ذاقه من حلو الزمان ومره ، وقاساه مدة الاختفاء ثم النفى حتى مات غريباً طريداً ، حق له العجب وعرف كيف يعبث الزمان بأهل الفضل من بنيه .

ونشأ المترجم فقيراً كما قدمنا ، وعاش فى قلة فان أصاب شيئاً بدده بالاسراف ، وكان فى أول أمره يرتدى الثياب الافرنجية المعلومة ، فلما ظهر بعد الاختفاء لبس الجبة والقفطان واعتم بعمامة خضراء اشارة الى الشرف ، وكان شهى الحديث حلو الفكاهة ، اذا أوجز ود المحدث انه لم يوجز ، لقيته مرة فى آخر اقاماته بمصر ، فرأيت رجلاً فى ذكاء إياس ، وفصاحة سحبان ، وقبح الجاحظ . أما شعره فأقل من نثره ، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى فى عصرنا هذا ، وقد انتخب أخوه عبد الفتاح افندى جملة صالحة من مقالاته جمعها فى كتاب سماه « سلافة النديم » فارجع اليه ان شئت .

ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله المقام ، فمن ذلك مرثيته فى الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار اليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه « غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لأمور : (أولاً) فلعفوه عنى واحسانه إلى ، (ثانياً) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة ، (ثالثاً) لصغر سنه ، (رابعاً) لصغر سن أنجاله ، (خامساً) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادساً) لأنه كان برزخاً بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رفانة لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ذكرها المترجم بالأستاذ وهى :

ما للكواكب لا ترى فى المرصد والكون أصبح فى لباس أسود
عم الكسوف الكل أم فقد الضيا أم كلنا يرنو بمقلة أرمد

وتاريخها

فلأنك الجنات قالت أرخوا توفيق فى عز النعيم السرمدى
١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر

سيوف الثنا تصدا ومقولى النمد ومن سار فى نصرى تكفله الحمد

ومنها

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا يعارضه غر ويفحمه وغد
ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما لتحفظ أغراض تكفلها المجد

ويقال انه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتاً لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بها الى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

يا صاحبى دع عنك قول الهازل واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجهل تجد صفو الزمان فانه من قسمة القدم الغبى الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم أمر المعاش خفظه للغافل
وارض البلادة تغتنم من بابها مالاً وجاهاً بعد ذكر خامل
واذا أبيت سوى العلوم فلا تضق بحروب دهر لا يميل لفاضل
قلب تواريخ الأولى سبقوا تجد دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل أبصرت عيناك ديواناً به مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت أى ، فاذكر لنا من ناله أو لا ، فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد مال الغنى وحكمة للكامل

ثم ذيلها بنثر أضربنا عن ذكره . ومنه قوله وضمنها كتاباً كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :

وبعد فهذا شرح حالة غائب عليه من اللطف الخفى ستور
تدور به الأهوال حول مدارها فيصبر والقلب الرضى صبور
عسى فرج يأتى به الله انه على فرجى دون الأنام قدير

كيف تهدى العروس الى زوجها فى حضرموت ؟

مشهد من رواية شعرية تحت الطبع باسم « همام أو فى عاصمة الأحقاف »

للشاعر الحضرمى على أحمد با كثير

ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » . فيما بعد منتصف الليل يرى هنالك جمهور من النساء يصطففن لزفها الى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع والمصابيح . تتقدمهن القينات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه فى سير بطىء الى جهة بيت « همام » :

القينات : نحن نزفُّ الشَّمسا والشمسُ فى ضُحاها
فما أجلَّ عرْسا يغمره سناها !

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . . . .
. . . .

القينات : نحن نزف الحيا نحن نزف المُنى !
نحن نزُفُّ الضيَّا نحن نزف السَّنا

الجمهور : نحن نزف الشمسا . . . . . .
. . . .

القينات : يا عُصبة الغوانى هلمَّ للتطريب !
اشدُون بالأغانى واهتِفن بالنسيب